

أسَاريرِ الخَواتيمِ الكَافِيةِ

صياغة

د.حمزة بن فايع الفتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سور البقرة :٢٨٥- ٢٨٦)

- (مَنْ قَرَأَ بالآيتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورةِ البقَرةِ في لَيْلَةٍ، كَفَتَاهُ). متفقٌ عَلَيْهِ

- قال الحسنُ رحمه الله: (تفقدوا الحلاوةَ في الصلاة) وفي القرآن(وفي الذكر) فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها ، فاعلموا أن البابَ مغلق) .

- قال أبو عبد الرحمن السُلمي رحمه اللّٰه :

(كان الذين يقرئوننا القرآن من أصحاب رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - لا يتجاوزون بنا العشرَ من الآيات حتى نتعلمَ ما فيها من العلم والعمل ، فتعلمنا العلمَ والعمل جميعاً).

التقدمة

الحمدُ للّٰه شـرحُ صـدورنـا لـلإيمـان، وهـداهـا إلـى معاني القـرآن، وبلّغها منائرَ العلم والبيان ، نحمدُه على عظمةِ كتابه، وروعةِ أحكامه، وجمالِ هداياته، وصلّى اللّٰه وسلم على خير المرسلين، وسيد المتقين، نبينا محمد وعلى آله وصحبِه أجمعين...

أما بعد:

فها هنا أساريرُ مسطورةٌ ، وفوائدُ معمورة، وعظاتٌ مبهورة، سطّرها القلمُ وهو بها منشرح، ونسجتها اليَراعةُ وهي بها سالية ، وفاه بها اللسانُ وهو بها شائق ، والروحُ متطلعةٌ، والعقل

جـذلانٌ ، والهمة متوثبةٌ، والعزيمةُ سـائـرة، فلقد انشرحت العزماتُ للكتاب العزيز، وتكاثرت الرغباتُ للقرآن العظيم ، وقد هيّجتنا نصوصُه، وجذبتنا فصوصه، واستوقفتنا مواعظه ودروسُه .

فهنيئاً لمن وُفق لها توفيقًا ، وسارَ فيها سيرًا حثيثًا ، يتقلب في حدائقها، ويستطيبُ رياضها، ويخوض ميادينها ، فلا يرجعُ إلا بأكوام من ثواب، وبصناديقَ من فضل، وبخزائنَ من رفعةٍ وحكمة .

وكنا بحمد اللّه وتوفيقه، قـد تهيأ للقلم تقييدٌ ورسـم، وانسابَ الذهنُ في آياتٍ ونظم ، فكُتبت فوائدُ وحِكمٌ مشتهرة ،

وسيقت فرائدُ وعبرٌ مستحسنة ، ولم نزل في حدائق القرآن، نذكِّرُ بفضائله ، ونخصُّ بعض سورة وآياته.

فنقشَ القلمُ رسائلَ مبهجةً حول القرآن ، لا سيما ما اشتهر منه وعظم كالفاتحة وآية الكرسي ونظائرهما.

ثم لاحت له بروقُ خواتيم البقرة، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة: ٢٨٥-٢٨٥ . وتذكر ما فيها من محاسنَ ونفائس ، وأنها ذاتُ فضلٍ ومقابس، لا ينبغي طالب علمٍ إغفالُها، أو لعالم تجاهلها ، وهو يسمعُ درسَها، ويفقه مغزاها، ويشاهدُ بركتها، وقد صح أنها نورٌ سطع من كنز تحت العرش ، وقال في المتفق عليه: (من قرأها في ليلة

كفتاه).

وكيف تكونُ تلكَ الكفاية ، ولِم خُصت بمزيد الذكر والعناية ؟!..

وحرَصنا على إظهار أسرارها ، وكشف موضوعاتها ، وتجلية عظاتها ، لا سيما وهي في أعظمِ سورة قرآنية ، وحولها سيدةُ الآيات وفريدةُ الهبات ، وقد قال صلى اللّه عليه وسلم: (اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ)[1]. والبطَلة: السحرة .

ولذلك قيّدنا هنا ما يقاربُ المائة نقطةٍ وفائدة، كما صُنع سابقا في أخواتها ، ولعلها تنتظمُ في باقةٍ قرآنية بهيجة ، فتكون

(١) رواه مسلم في صحيحه(٨٠٤).

تاجًا مَهديا ، أو جوهرًا نفيسًا غالي الثمن، يناله أهله وطلابه.

وبعد التجربةِ والصيرورة في الرياض القرآنية، أدعو إخواني وكل طالب علمٍ إلى الدنو من القرآن، وتفهم معانيه، وتقييد فوائده ، والتلذذ بتدبراته ودروسه..!

ولو أن بعضَنا كرر مختصرا في التفسير، وتدبر دروسه ، وتفقهَ في موضوعاته ، لحازَ خيرًا عظيما، ونال درجةً رفيعةً، وبات مقدمَ رفقته وأصحابه.

فالعلمَ العلمَ يا شباب، وكتاب اللّٰه دونكم، والقرآن يستدعيكم، وقصصه تجذبكم ، ومواعظه تأسركم... فماذا تنتظرون بعد..؟!

ولتكن بدايتُكم بالسور المحورية ، والآياتِ الجوهرية ، التي خُصِّصت تخصيصًا ، وفُضِّلت على غيرها تفضيلًا ، ولم تزل في الدروس والعلوم دراً فاخرًا نفيسًا ..!

عيشوا مع القرآن ، واستطعموا لذته، وارشفوا من أسراره، وتبلغوا بنصائحه ووصاياه ، جعلنا اللّه وإياكم من حملته والعاملين به.

وللإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه اللّه دررٌ ماتعة في وصف القرآن وحاجة العبادِ إليه وأنه زاد العلماء ، قد دبجت في مقالة مخصوصة ، ومنها يقول :» إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبَك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعَك، واحضر حضورَ

من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه.

ومنها : «أن في القلب قسوةً لا يُذيبها إلا ذكُر اللّٰه تعالى، فينبغي للعبد أن يداويَ قسوةَ قلبه بذكر اللّٰه تعالى . و كذلك ذَكر حماد بن زيد عن المعلَّى بن زياد : أن رجلاً قَال للحسن: يا أبا سعيد، أَشكو إليك قسوةَ قلبي؟ قال: أَذِبه بالذكر».

ويقول : «فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تُنْهِضُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ، وَتُحَذِّرُهُ وَتُخَوِّفُهُ بِوَعِيدِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَتَحُثُّهُ عَلَى التَّضَمُّرِ وَالتَّخَفُّفِ لِلِقَاءِ الْيَوْمِ الثَّقِيلِ، وَتَهْدِيهِ فِي ظُلَمِ الْآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَصُدُّهُ عَنِ اقْتِحَامِ طُرُقِ الْبِدَعِ وَالْأَضَالِيلِ وَتَبْعَثُهُ عَلَى الِازْدِيَادِ مِنَ النِّعَمِ بِشُكْرِ رَبِّهِ الْجَلِيلِ».

ويقول : « لاتجدُ كلاما أحسنَ تفسيرا ،ولا أتمَّ من كلام اللّٰه

سبحانه، ولهذا سمّاه اللّه بيانا، وأخبر أنه يسره للذكر، ويسّر

ألفاظه للحفظ، ومعانيه للفهم.

فمرحى وهناءةً لمن تفرغ لذلك ، وانقطع لعبره ، وعاش

مستغنيا بكتاب اللّه يتلوه، ويفسره ، ويستنبطُه ويتدبره ، ويفيد

ويستفيد منه .

اللهم وفقنا للخيرات ، واجعلنا من أهل الذكر والصالحات،

الذين هم أهلك وخاصتك يا ذا الجلالِ والإكرام ، والحمد للّه

رب العالمين .

جدة. بوابة الحرمين الشريفين .

١- آيتانِ كريمتانِ وصّى بها صلى اللّه عليه وسلم ، وأمر بتعاهدهما كلَّ ليلة، وقد احتوت أمورًا عظامًا ، وأصولًا جساما، مما يدل على عِظم شأنها ، وأنها من الحفظ بمكان، ومن العلم بمنزلة (آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه...) .سورة البقرة : ٢٨٥ .

عن أبي مسعود البدري رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :(من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه).[١]

وقد احتوت أركانَ الإيمان ، ورحمة اللّه بعباده ، وتجاوزه عن أخطائهم ، وتشريفهم باتباع رسول اللّه وامتثال هديهِ ، وحسن إيمانهم ومتابعتهم للحق والهدي ، مع طيب ديت وتواضع.

٢- ولذلك تُسمَّى الكافية : قال الحافظُ في الفتح رحمه اللّه: قوله: (كفتاه) أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن،

(١) البخاري(٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٧).

وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقا سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل: معناه: أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالا، وقيل: معناه: كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه: كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى اللّٰه وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم،...!

ونقل عن النووي رحمه اللّٰه: قيل: معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل من الجميع...

٣- وقال الحافظُ : وعلى هذا فأقول: يجوزُ أن يُراد جميع ما تقدم، واللّٰه أعلم، والوجه الأول ورد صريحا من طريق عاصم عن علقمة عن أبي مسعود رفعه: « من قرأ خاتمة

البقرة أجزأت عنه قيام ليلة »، ويؤيد الرابع حديث النعمان بن بشير رفعه: « إن اللّٰه كتب كتابا وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال »، أخرجه الحاكم وصححه، وفي حديث معاذ لما أمسك الجني وآية ذلك: «لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة فيدخل أحد منها بيته تلك الليلة »، أخرجه الحاكم أيضا.

٤- عطيّةٌ علويةٌ : ومن فضائلها: عن مرة عن عبد اللّٰه قال : « لما أسري برسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة .. وفيه: فأعطى ثلاثا الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة ، ويغفر لمن مات من أمته لا يشرك باللّٰه شيئا المُقحِمات)- اي الذُّنوبَ العظام -[١].

٥- فقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في «أحكام

القرآن» (٣٥٩/٤) مواضع نزول القرآن فقال :» مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَارِضَةِ هَاهُنَا أَنَّ الْقُرْآنَ فِي مَحَلِّ نُزُولِهِ وَوَقْفِهِ : عَشَرَةُ أَقْسَامٍ: سَمَاوِيٌّ ، وَأَرْضِيٌّ ، وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَحَضَرِيٌّ ، وَسَفَرِيٌّ ، وَمَكِّيٌّ ، وَمَدَنِيٌّ ، وَلَيْلِيٌّ ، وَنَهَارِيٌّ ، وَمَا نَزَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ « . انتهى

وقد نقل السيوطي كلام ابن العربي في «الإتقان» (٩٠/١) ومثّل للسماوي فقال :» لَمْ أَقِفْ عَلَى مُسْتَنَدٍ لِمَا ذَكَرَهُ فِيهَا إِلَّا آخِرَ الْبَقَرَةِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ :» لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى الْحَدِيثَ « .

٦- بشرى نورانية : كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللّٰه عنهما ، قَالَ: « بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ

السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ »[1] .

قال ابن العربي رحمه الله قوله « وأعطي خواتيم سورة البقرة «وقد روى مسلم أنه نزل عليه ملك من السماء لم ينزل قط وأنبأ النبي عليه الصلاة والسلام أنه أُعطي الآيتين من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه ، والأصلُ في ذلك أنه أوحى بهما الليلة ليلة الإسراء أصلا ، ونزل إليه الملَك بهذه الفائدة في أنهما من قرأ بهما في ليلة كفتاه فتجتمع الفائدتان»[2].

٧- من كنوزِ العرش : عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ

(١) البخاري(٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٧).
(٢) عارضة الأحوذي» (١/٢١١) .

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: « اقرؤوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ رَبِّي أَعْطَاهُنَّ - أَوْ: أَعْطَانِيهِنَّ - مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ »[1].

٨- مناسبةُ ختم السورة بها: قالَ الزَّجّاجُ اللغوي: لَمّا ذَكَرَ اللَّهُ في هَذهِ السُّورَةِ أحْكامًا كَثِيرَةً وقِصَصًا خَتَمَها بِقَوْلِهِ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إلَيْهِ مِن رَبِّهِ﴾ تَعْظِيمًا لِنَبِيِّهِ ﷺ وأتْباعِهِ وتَأْكِيدًا وفَذْلَكَةً-خلاصة- لِجَمِيعِ ذَلِكَ المَذْكُورِ مِن قَبْلُ، يَعْنِي أنَّ هَذا انْتِقالٌ مِنَ المَواعِظِ والإرْشادِ والتَّشْرِيعِ وما تَخَلَّلَ ذَلِكَ مِمّا هو عَوْنٌ عَلى تِلْكَ المَقاصِدِ، إلى الثَّناءِ عَلى رَسُولِهِ والمُؤْمِنِينَ في إيمانِهِمْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ إيمانًا خالِصًا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ العَمَلُ؛ لِأنَّ الإيمانَ بِالرَّسُولِ والكِتابِ، يَقْتَضِي الِامْتِثالَ لِما جاءَ بِهِ مِن عَمَلٍ، فالجُمْلَةُ اسْتِئْنافٌ ابْتِدائِيٌّ وُضِعَتْ في هَذا المَوْقِعِ

(١) المسند (١٧٤٤٥).

لِمُناسَبَةِ ما تَقَدَّمَ، وهو انْتِقالٌ مُؤْذِنٌ بِانْتِهاءِ السُّورَةِ لِأنَّهُ لَمّا انْتَقَلَ مِن أغْراضٍ مُتَناسِبَةٍ إلى غَرَضٍ آخَرَ هو كالحاصِلِ والفَذْلَكَةِ، فَقَدْ أشْعَرَ بِأنَّهُ اسْتَوْفى تِلْكَ الأغْراضَ[1].

٩- حُسنُ إيمانِ الرسول والمؤمنين: يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا باللّه وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمانَ بجميع ما أخبر اللّه به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص .

١٠- وفي الآية فوائدُ ودروس منها : وجوبُ الإيمان بالوحي كتاباً وسنةً: (آمنَ الرسول بما أنزل إليه من ربه) وتصديق ما

(١) انظر التحرير والتنوير١٣٢ / ٣ .

جاءت به الكتب من الأحكام والشرائع .

قال العلماء : مِنَ الأحْكام المَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وغَيْرِها، والمُرادُ إيمانُهُ بِذَلِكَ إيمانًا تَفْصِيلِيًّا، وأَجْمَلَهُ إجْلالًا لِمَحَلِّه وإشْعارًا بِأنَّ تَعَلُّقَ إيمانِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِتَفاصِيلِ ما أُنْزِلَ إلَيْهِ وإحاطَتَهُ بِجَمِيعِ ما انْطَوى عَلَيْهِ مِمّا لا يَكْتَنِهُ كُنْهَهُ ولا تَصِلُ الأفْكارُ وإنْ حَلَّقَتْ إلَيْهِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الظُّهُورِ إلى حَيْثُ اُسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِهِ واكْتُفِيَ عَنْ بَيانِهِ، وفِي تَقْدِيمِ الِانْتِهاءِ عَلى الِابْتِداءِ مَعَ التَّعَرُّضِ لِعُنْوانِ الرُّبُوبِيَّةِ والإضافَةِ إلى ضَمِيرِهِ ما لا يَخْفى مِنَ التَّعْظِيمِ لِقَدْرِهِ الشَّرِيفِ والتَّنْوِيهِ بِرِفْعَةِ مَحَلِّهِ المُنِيفِ..![1]

١١- قولَه (من ربه): قال الشيخ ابن عثيمين رحمه اللّه:« ربوبية خاصة؛ لأنها أُضيفت إلى الرسول صلي اللّه عليه وسلم،

(١) انظر روح المعاني للألوسي .

والربوبية المضافة إلى الرسل هي أخص أنواع الربوبية، ويليها الربوبية المضافة إلى المؤمنين، ثم أعمها الربوبية المضافة إلى جميع الناس، مثل: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة ٢)، هذه الربوبية الخاصة لا شك أنها تقتضي تربية خاصة لا يماثلها تربية أحد من المربوبين».

١٢- فضلُ أهل الإيمان في اتباعهم رسولَ اللّه قولًا وعملا واعتقادا (والمؤمنون كل آمن). وفي ذلك من الخضوع والتسليم ما لا يخفى.

١٣- وجوبُ اتباع الرسول المختار في هديه وشرعه وسنته ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ سورة ال عمران.

١٤- اشتمالُ الآية على أربعة من أركان الإيمان الواجبة، والتي لا يصح إيمانُ عبد إلا بها مصدقًا معترفًا. وقد تضمنها

حديثُ جبريل عليه السلام كلها (هـذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

١٥- معنى الإيمان باللّه: الإيمانُ باللّه هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه وتعالى، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته. ووجود اللّه تعالى قد دل عليه العقل والفطرة، فضلاً عن الأدلة الشرعية الكثيرة التي تدل على ذلك.

فأما دلالة الفطرة على وجود اللّه: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[١] .

١٦- فيها وجوبُ الايمان بالملائكة : وهو الإيمان بوجودهم

(١) رواه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

إيمانًا جازمًا لا يتطرق إليه شك ولا ريب، قال اللّٰه تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فمن يُنكِر وجود الملائكة، فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦). وثمة تفصيلات موضعها كتب العقائد .

١٧- وعادتهم التسبيح والانقطاع للعبادة ، وأهل السنة والجماعة يُؤمِنون بوجودِهم، وأنهم عباد مخلوقون، خلقهم اللّٰه من نورٍ، وهم ذوات محسوسة، وليسوا أمورًا معنوية، ولا قوى خفية، وهم خلق من خلق اللّٰه، يسكنون السماء، والملائكة خِلقتُهم عظيمة، منهم من له جناحانِ، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وثبت أن جبريل عليه السلام له ستُّمائة جناح.

١٨- معنى الإيمان بالكتب هو: التصديقُ الجازم بأن كلَّها منزل من عند اللّٰه، على رسوله، إلى عباده بالحق والهدى.

وأنها كلام اللّٰه لا كلام غيره، وأنه تعالى تكلَّم بها حقيقةً كما شاء، على الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويؤمر بتبليغه إلى الرسول البشري؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

١٩- وجوبُ الإيمان بالرسل : ومعناه التصديق الجازم بأن اللّٰه تعالى بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة اللّٰه وحده والكفر بما يعبد من دونه ، وأنهم جميعا صادقون مصدقون بارون راشدون أتقياء أمناء وأن دعوتهم اتفقت من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها ، وهو التوحيد،

الإيمـان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونـوح عليهم الصلاة والسـلام ، ومـن ذُكر منهم إجمالا ولم نعلم اسمه وجب علينا الإيمان بهم إجمالا ، والتصديق بما صح عنهم من أخبارهم .

والعمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد صلى اللّه عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس . قال اللّه تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء:٦٥).

٢٠- ويستفاد منها الإيمانُ بجميع المرسلين دون تفريق بين أحد منهم كما قال في سلوك المؤمنين المتقين (لا نفرق بين أحد منهم). فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، كما فعل اليهود والنصارى، لم يقل بين آحاد لأن الأحد يتناول الواحد والمثنى

والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) فوصفه بقوله (حاجزين) لكونه في معنى الجمع.

(وقالوا سمعنا وأطعنا) أي أدركناه بأسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه وقيل معنى سمعنا أجبنا دعوتك.

٢١- شيمةُ المومنين وطبيعتهم السمع والطاعة، والاستجابة الكاملة للأوامر الشرعية (وقالوا سمعنا وأطعنا) أي فهمنا وامتثلنا ، والسَّمْعُ هُنا كِنايَةٌ عَنِ الرِّضا والقَبُولِ والِامْتِثالِ، وعَكْسُهُ لا يَسْمَعُونَ أيْ: لا يُطِيعُونَ. والمَعْنى: إنَّهم آمَنُوا واطْمَأنُّوا وامْتَثَلُوا، وإنَّما جِيءَ بِلَفْظِ الماضِي دُونَ المُضارِعِ؛ لِيَدُلُّوا عَلى رُسُوخِ ذَلِكَ، لِأنَّهم أرادُوا إنْشاءَ القَبُولِ والرِّضا، وصِيَغُ العُقُودِ ونَحْوِها تَقَعُ بِلَفْظِ الماضِي نَحْوَ: بِعْتُ.

قال العلامةُ ابن عثيمين رحمه اللّه : والناسُ في تلقي الوحي ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم مُعرض لا يسمع، ولا يطيع،

ولا يلتفت، بل هو مستكبر، وقسم معاند: يسمع ولكن لا يطيع، فعنده علم بما أنزل اللّه وبحدود اللّه، ولكنه لا يطيع؛ يقولون: سمعنا وعصينا نسأل اللّه العافية،

وقسم ثالث: يسمع ويطيع، وهؤلاء هم المؤمنون، هم المؤمنون الذين يقولون: سمعنا وأطعنا .

٢٢- احتياجُ المؤمن دائمًا الى المغفرة ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي اِغْفِرْ غُفْرانَكَ ما يُنْقِصُ حُظُوظَنا لَدَيْكَ، أوْ نَسْأَلُكَ غُفْرانَكَ ذَلِكَ، فَغُفْرانٌ مَصْدَرٌ وهو مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ. لِأنَّ عِبادَتَنا، وإنْ كانَتْ فِي نِهايَةِ الكَمالِ، فَهي بِالنِّسْبَةِ إلى جَلالِكَ تَقْصِيرٌ، ولذلك كثر طلب المغفرة في العبادات الشرعية ، وفي الصلاة والانصراف منها يقول العبدُ: أستغفر اللّه ثلاثاً، بسبب ما اعتراها من تقصير وغفلات .

٢٣- إثباتُ الجزاء والقيامة واجتماع الناس فيها عند

خالقهم بلا محاله.. (وإليك المصير) وفي ذلكَ تهوين من الدينا والانهماك فيها، وكشف لنهايتها وأنها ليس ثابتةً خالدة، ولكن البقاء للّٰه ولداره الثانية.. (وللآخرة خير من الأولى) سورة الضحى .

٢٤- والجملةُ متضمنة هلاك الناس وفناءهم في هذه الحياة، فوجب الاستعداد ، وأخذ الحيطة، والتزود من الأعمال الصالحة ، فإن أمامهم بعثًا ونشورا ، وحسابا وحضورًا ..(ربنا إنك جامعُ الناس ليوم لا ريب فيه). سورة آل عمران.

٢٥- في طلبِ المؤمنين المغفرةَ من ربهم دليل على خضوعهم واحتياجهم وعدم اغترارهم بإيمانهم وطاعاتهم ، فغيرهم من ذوي التقصير أولى وأجدى، وقد كان صلى اللّٰه عليه وسلم يستغفر في اليوم نحو مائة مرة ، كما في حديث الأغرّ المزني..

(إنَّه لَيُغَانُ علَى قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّه فِي اليَوم مِائَةَ مَرَّةٍ)[1].

٢٦- رحمةُ اللّه بعباده في عدم التكليف بما يشق، وتجاوزه عن الخطأ والنسيان ، ولذلك كانت هاتان الآيتان ناسخةً لآية المحاسبة وحديث النفس قبلها . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم، ثم جَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم «أَتُرِيدُونَ

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

أَنْ تقولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». فَلَمَّا أقر بِهَا الْقَوْمُ وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَثَرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ فَأَنْزَلَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: نَعَمْ. «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» ، قَالَ: نَعَمْ. «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» ، قَالَ: نَعَمْ. «وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »، قَالَ: نَعَمْ.

وفي رواية:(قد فعلتُ).

٢٧- قال الحافظُ ابن كثير رحمه اللّه: وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ أَيْ: لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَهَذِهِ هِيَ النَّاسِخَةُ الرَّافِعَةُ لِمَا كَانَ أَشْفَقَ مِنْهُ الصَّحَابَةُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أَيْ: هُوَ وَإِنْ حَاسَبَ وَسَأَلَ لَكِنْ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا بِمَا يَمْلِكُ الشَّخْصُ دَفْعَهُ، فَأَمَّا مَا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ مِنْ وَسْوَسَةِ النَّفْسِ وَحَدِيثِهَا، فَهَذَا لَا يُكَلَّفُ بِهِ الْإِنْسَانَ، وَكَرَاهِيَةُ الْوَسْوَسَةِ السَّيِّئَةِ مِنَ الْإِيمَانِ. [1]

٢٨- أن كسبَ العبد مرتهنٌ به خيرًا ما أو شرًا ، كما قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أَيْ: مِنْ خَيْرٍ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أَيْ: مِنْ شَرٍّ، وَذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي تَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيفِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُرْشِدًا عِبَادَهُ إِلَى سُؤَالِهِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ أَيْ:

(١) تفسير ابن كثير ١/٧٣٧ .

إِنْ تَرَكْنَا فَرْضًا عَلَى جِهَةِ النِّسْيَانِ، أَوْ فَعَلْنَا حَرَامًا كَذَلِكَ، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أَيِ: الصوابَ فِي الْعَمَلِ، جَهْلًا مِنَّا بِوَجْهِهِ الشَّرْعِيِّ.

٢٩- تخفيفُ اللّه على هـذه الأمـة ،إذ رفـع عنهم إصر السابقين ، والتكليف هو الأمر بما فيه مشقة وكلفة، والوسع الطاقة والوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، وهذه جملة مستقلة جاءت عقب قوله سبحانه (إن تبدوا ما في أنفسكم) الآية لكشف كربة المسلمين ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الأنفس، وهي كقوله سبحانه (يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال ابن عباس: وأكثر المفسرين: إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة.

٣٠- وَالْخَوَاطِرُ وَنَحْوُهَا لَيْسَتْ مِنْ كَسْبِ الْإِنْسَانِ. وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِي الْحَسَنَاتِ بِـ «لَهَا» من حيث هي مما يَفْرَحُ الْمَرْءُ بِكَسْبِهِ وَيُسَرُّ بِهَا، فَتُضَافُ إِلَى مِلْكِهِ. وَجَاءَتْ فِي السَّيِّئَاتِ بِـ «عَلَيْهَا»

مِنْ حَيْثُ هِيَ أَثْقَالٌ وَأَوْزَارٌ وَمُتَحَمَّلَاتٌ صَعْبَةٌ، وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: لِي مَالٌ وَعَلَيَّ دَيْنٌ. وَكَرَّرَ فِعْلَ الْكَسْبِ فَخَالَفَ بَيْنَ التَّصْرِيفِ حُسْنًا لِنَمَطِ الْكَلَامِ، كَمَا قَالَ: «فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً» . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيَظْهَرُ لِي فِي هَذَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ هِيَ مِمَّا تُكْتَسَبُ دُونَ تَكَلُّفٍ، إِذْ كَاسِبُهَا عَلَى جَادَّةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ورسم شرعه، والسيئات تكتسب ببناء المبالغة، إذا كَاسِبُهَا يَتَكَلَّفُ فِي أَمْرِهَا خَرْقَ حِجَابِ نَهْيِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَخَطَّاهُ إِلَيْهَا، فَيَحْسُنُ فِي الْآيَةِ مَجِيءُ التَّصْرِيفَيْنِ إِحْرَازًا، لِهَذَا الْمَعْنَى.

٣١- اغتفارُ اللَّه لخطأ بني آدم ونسيانهم ، (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) : أي لا تؤاخذنا بإثم ما يصدر منا من هذين الأمرين، وقد استشكل هذا الدعاء جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين : إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما فما معنى الدعاء بذلك فإنه من تحصيل الحاصل.

وأجيبَ عن ذلك بأن المراد طلب عدم المؤاخذة بما صدر عنهم من الأسباب المؤدية إلى النسيان والخطأ من التفريط وعدم المبالاة لا من نفس النسيان والخطأ فإنه لا مؤاخذة بهما كما يفيد ذلك قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان). وقيل إنه يجوز للإنسان أن يدعو بحصول ما هو حاصل له قبل الدعاء لقصد استدامته.

وقيل إنه وإن ثبت شرعاً أنه لا مؤاخذة بهما فلا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً.

وقيل لأنهم كانوا على جانب عظيم من التقوى بحيث لا يصدر عنهم الذنب تعمداً وإنما يصدر عنهم خطأً أو نسياناً فكأنه وصفهم بالدعاء بذلك إيذاناً بنزاهة ساحتهم عما يؤاخذون به، كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذون به فما منهم سبب المؤاخذة إلا الخطأ والنسيان.[1]

(١) انظر فتح البيان للقنوجي١٦٤ /٢ .

٣٢-قال ابن القيم رحمه اللّٰه:» الاكتساب أبلغ من الكسب، ولهذا كان في العمل الذي يكون على صاحبه، والكسب فيما له، قال تعالى: ﴿لَها ما كَسَبَتۡ وعَلَيۡها ما اكۡتَسَبَتۡ﴾ تنبيهًا على أن الثواب يحصل لها بأدنى سعى وكسب، وأن العقاب إنما هو باكتسابها وتصرفها وما تعانيه.

وإذا علم هذا فالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار اللّٰه سبحانه لا يخص الاصطبار، بل يكون مع الصبر ومع التصبر.

ولكن لما كان الاصطبار أبلغ من الصبر وأقوى كان بهذا التلذذ والاستبشار أولى. واللّٰه أعلم». [1]

٣٣- وفيها رفع الآصار عن هذه الأمة، ﴿رَبَّنا ولا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنا إصۡرًا﴾ عِبۡأً ثَقِيلًا يَأۡصِرُ صاحِبَهُ، أيۡ يَحۡبِسُهُ في مَكانِهِ. يُرِيدُ بِهِ التَّكالِيفَ الشّاقَّةَ، مِثۡلَ حَمۡلِكَ إيّاهُ عَلى مَن قَبۡلَنا، أوۡ مِثۡلَ

(١) طريقُ الهجرتين ص: ٢٧٠

الَّذِي حَمَلْتَهُ إيّاهم فَيَكُونُ صِفَةً لإِصْرًا، والمُرادُ بِهِ ما كُلِّفَ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ مِن قَتْلِ الأَنْفُسِ، وقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجاسَةِ، وخَمْسِينَ صَلاةً فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، وصَرْفِ رُبْعِ المالِ لِلزَّكاةِ. أَوْ ما أَصابَهم مِنَ الشَّدائِدِ والمِحَنِ.

٣٤- فيها تعليمُ اللّه لعباده كيفية الدعاء ..(ربَّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) وقالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: المَعْنى: لا تُحَمِّلْنا ما يَثْقُلُ عَلَيْنا أداؤُهُ، وإِنْ كُنّا مُطِيقِينَ لَهُ عَلى تَجَشُّمٍ، وتَحَمُّلِ مَكْرُوهٍ، فَخاطَبَ العَرَبَ عَلى حَسْبِ ما تَعْقِلُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنهم يَقُولُ لِلرَّجُلِ يُبْغِضُهُ: ما أُطِيقُ النَّظَرَ إِلَيْكَ، وهو مُطِيقٌ لِذَلِكَ، لَكِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ، ومِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ .

٣٥- دلت الآية عَلى جَوازِ التَّكْلِيفِ بِما لا يُطاقُ وإلّا لَما سُئِلَ التَّخَلُّصَ مِنهُ،

٣٦- قوله: ﴿واعْفُ عَنّا﴾ وامْحُ ذُنُوبَنا. ﴿واغْفِرْ لَنا﴾ واسْتُرْ عُيُوبَنا ولا تَفْضَحْنا بِالمُؤَاخَذَةِ. (وارْحَمْنا﴾ وتَعَطَّفْ بِنا وتَفَضَّلْ عَلَيْنا. وفي ذلك من تعلق المؤمن بربه وحاجته إليه ما لا يخفى.

٣٧- العفو: أن يُسقِط اللّه عنه العذاب. وأما المغفرة: فأن يسترَ عليه من الفضيحة، والتخجيل؛ بمعنى: واستر علينا زَلَّةً إن أتيناها فيما بينَنا وبينك، فلا تكشِفْها، ولا تفضحنا بإظهارها.

أما الرحمة: فهي إنعامٌ من اللّه، وكرم منه في زيادة الحسنات.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: «الْعَفْوُ مُتَضَمِّنٌ لِإِسْقَاطِ حَقِّه قِبَلِهِمْ وَمُسَامَحَتِهِمْ بِهِ، وَالْمَغْفِرَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِوِقَايَتِهِمْ شَرَّ ذُنُوبِهِمْ، وَإِقْبَالِهِ عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ عَنْهُمْ؛ بِخِلَافِ الْعَفْوِ الْمُجَرَّدِ؛

فَإِنَّ الْعَافِيَ قَدْ يَعْفُو ، وَلَا يُقْبِلُ عَلَى مَنْ عَفَا عَنْهُ ، وَلَا يَرْضَى عَنْهُ .

«فَالْعَفْوُ تَرْكٌ مَحْضٌ، وَالْمَغْفِرَةُ إِحْسَانٌ وَفَضْلٌ وَجُودٌ »(١) .

وقد جاءت الألفاظُ الثلاثة بصيغة الأمر، والأمر من الأدنى إلى الأعلى يُراد به الدعاء.

٣٨- لم يذكر اللّه هاهنا لفظ ﴿ رَبَّنَا ﴾ كبقية الأدعية السابقة، والجواب كما يقول الإمام الرازي رحمه اللّه فقال:

النداءُ إنما يحتاجُ إليه عند البُعْدِ، أما عند القرب فلا، وإنما حذف النداء إشعارًا بأن العبد إذا واظَبَ على التضرع ، نال القُرْب من اللّه تعالى، وهذا سرٌّ عظيمٌ يطلع منه على أسرار أُخَرَ.

٣٩- حاجةُ المومنين إلى ولاية ربهم ورعايته لهم.. (أنت مولانا) أي أنت المتولي لجميع أمورنا، ومن تمام ولايتك لنا

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٤٠).

أنك لم تكلفنا إلا ما نطيق، وأنك ملجؤنا وملاذنا ومحل دعوتنا ورغبتنا ورهبتنا، وأنك شرعت لنا هذا الدين الميسر، وكل ما يترتب على هذه الولاية فهو داخل في قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾.

٤٠- استمدادُ النصر من المولى النصير، والقوي العزيز، (فانصرنا على القوم الكافرين). وورد في القرآن النصير، وخبر الناصرين ، وقال القرطبي رحمه اللّه: وله معانٍ منها: العَوْن، يقال: نَصَره اللّه على عُدوه؛ يَنْصره نصراً، فهو ناصرٌ ونصير للمبالغة، والاسم: النُّصْرة، والنّصير: النّاصر.

وقال الأصْبهاني رحمه اللّه: (النّصير والنّاصر) بمعنى، ومعناه: ينصرُ المؤمنين على أعْدائهم، ويُثبّتُ أقْدَامهم عند لقاء عَدُوهم، ويُلقي الرٌعبَ في قلوب عدوهم.

٤١- كما استُحبَّ طلبُ المغفرة والعفو، استُحبَ طلبُ النصرة على الكفار ، لمزاحمتهم المؤمنين بالباطل ، وتنغيصهم حياتهم ،

وأن الحياةَ مبنية على الصراع والتضاد بين الحق والباطل .

٤٢- وفي طلب أهل الإيمان النصرة تربيةٌ لهم لئلا يتكلوا على قوتهم وأسلحتهم ، وأن القوةَ بلا دعاء عديمةُ الجدوى ، قليلة الثمار، كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة الأنفال:٤٥ .

٤٣- قال القرطبي رحمه الله: للعلماء في هذا الذكر ثلاثةُ أقوال :

الأول : اذكروا الله عند جزع قلوبكم ، فإن ذكره يعينُ على الثبات في الشدائد .

الثاني : اثبتوا بقلوبكم ، واذكروه بألسنتكم ، فإن القلبَ لا يسكن عند اللقاء ويضطربُ اللسان ، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين .

والثالث : اذكروا ما عندكم من وعد اللّه لكم في ابتياعه أنفسَكم ومثامنته لكم .

قلتُ : والأظهرُ أنه ذكر اللسان الموافق للجنان .

٤٤- كان من هديهِ صلى اللّه عليه وسلم الاستنصار به تعالى، ودعاؤه في المعارك وقبلها ، كما قال يوم بدر: (فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ » . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ).[(١)]

وفي الأحزاب :(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ). [(٢)]

(١) البخاري(٢٩١٥) مسلم (١٧٦٣).
(٢) البخاري (٢٩٣٣) مسلم (١٧٤٢).

وفي حنين قال: (« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ.. اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ »).[1]

ومن أدعيته العامة كما عند الترمذي وغيره: (رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ...).[2]

وفي ختام المجالس يقول (.. وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا..).[3]

٤٥- خلاصة خواتيم سورة البقرة أنّ لها فضلًا عظيماً، وفيهما بيان حقيقة الإيمان بالله -تعالى-؛ من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، والإيمان برسل الله جميعًا، بالإضافة إلى الدعاء بغفران الذنوب، وتكفير السّيئات،

(١) مسلم (١٧٧٦).
(٢) الترمذي (٣٥٥١).
(٣) الترمذي (٣٥٠٢).

والنصر على الأعـداء، والـركون إلـى اللّٰه عـبـادةً ودعـاءً واستنصارا .

٤٦- ومن فوائدِ الآيتين الكريمتين : أن الإيمـانَ باللّٰه -سبحانه وتعالى- لا يقتصرُ على مجرد الإيمان القلبي، بل يَجِبُ أن يرافقه عمل بمقتضى أركان الإيمان، وذلك يكون بالتقوى، والعمل والصالح باطنا وظاهرًا .

٤٧- ومنها : أن المؤمنينَ لا يختلفون في أصول الإيمان ، اعتقادًا وعملا وتدينًا كما قال:(كل آمن باللّٰه ..).

٤٨- في الآيات رد على اليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض (لا نفرق بين أحـدٍ من رسله).

ولذلك زجرهم اللّٰه وكفرهم (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا)
سورة النساء .

٤٩- قال ابن كثير رحمه اللّه :» فَالْيَهُودُ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ-آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ إلا عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالنَّصَارَى آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَكَفَرُوا بِخَاتَمِهِمْ وَأَشْرَفِهِمْ مُحَمَّدٍ صلى اللّه عليه وسلم، وَالسَّامِرَةُ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ بَعْدَ يُوشَعَ خَلِيفَةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَالْمَجُوسُ يُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ زَرَادِشْت، ثُمَّ كَفَرُوا بِشَرْعِهِ، فَرُفِعَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ بِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَنْ رَدَّ نُبُوَّتَهُ لِلْحَسَدِ أَوِ الْعَصَبِيَّةِ أَوِ التَّشَهِّي تَبَيَّنَ أَنَّ إِيمَانَهُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ إِيمَانًا شَرْعِيًّا،

إِنَّمَا هُوَ عَنْ غَرَضٍ وَهَوًى وَعَصَبِيَّةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فَوَسَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أَيْ: فِي الْإِيمَانِ ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أَيْ: طَرِيقًا ومسلكًا»[1].

٥٠- «وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ» هنا التفات من الغيبة إلى التكلم؛ ومقتضى السياق لو كان على نهجٍ واحد لقال: «لا يفرقون بين أحد من رسله»؛ ولكنه تعالى قال: «لا نفرق»؛ وفائدة الالتفات هي التنبيه؛ لأن الكلامَ إذا كان على نسقٍ واحد فإن الإنسان ينسجمُ معه، وربما يغيبُ فكره؛ وأما إذا جاء الالتفات فكأنه يقرع الذهن يقول: انتبه لما يقال هنا .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم/٢/٤٤٥ .

٥٠- ومنها : أن اللّه قد أقام علينا الحجة بإنزال الكتب، وإرسال الرسل ، قال اللّه تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، قال الإمام الموفق ابن قدامة المقدسي رحمه اللّه «نعلم أن للّه علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل».

٥١- أنّ التعويلَ في هداية الإنسان على الوحي ومصادر الشريعة ، وليس العقل والهوى (كلٌّ آمنَ باللّه وملائكته وكتبه...).

٥٢- ذمُّ المعاندة لحكم اللّه ورسوله، لأن سمتَ أهل الإيمان (سمعنا وأطعنا).

٥٣- وجوبُ التسليم الشرعي والإذعان الإيماني لقضايا الشريعة، وإن لم تدركها عقولنا، لأن ديننا السمع

والطاعة ، كما قال في موضع آخر: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سورة النور :٥١ .

وقال: (ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). فبهذا يتحقق الإيمان.

وفي السنة في أدعية الركوع :(اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ..).

والصحابةُ حينما حرمت الخمر قالوا: انتهينا، انتهينا ..!

والشافعي الإمامُ رحمه اللّه ذكر عنه الحميدي رحمه اللّه أن رجلًا جاءه فسأله عن مسألة، فقال الشافعي: قضى فيها رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- كذا وكذا، فقال الرجل: وما تقول أنت؟ فقال الشافعي: سبحان اللّه!

تراني في كنيسة، تراني في بيعة –معبد اليهود–؟ ترى على وسطي زنارًا –شعار أهل الذمة–، أقول لك قضى رسولُ اللّه –صلى اللّه عليه وسلم– وأنت تقول: ما تقول أنت؟!»

٥٤– أن المؤمن مع اتباعه وتصديقه ، لا ينفك عن طلب المغفرة وسؤال اللّه العفو دائما، وفي ذلك تربية له على الإخبات والتواضع والافتقار للحي القيوم (أنتم الفقراء إلى اللّه واللّه الغني الحميد) سورة فاطر : ١٥ .

٥٥– أن مصيرَ الخلائق وبعثهم عند ربهم حاضر في الذهنية المؤمنة ، ولا تزال تتهمم به النفوس اليقظة، حتى تحمل نفسها على العدة الإيمانية، والعتاد الخيري (وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى) سورة البقرة .

٥٦– الفرقُ بين النسيان والخطأ: أن (الخطأ) فعل الشيء من غير قصد، (والنسيان) هو عدم ذكر الشيء؛

لذهول أو غفلة، وهو معفوٌّ عنه؛ أي: لا إثم فيه، ولكن رفع الإثم لا ينافي أن يترتب على نسيانه حُكم، كما أن من نسي الوضوء، وصلى ظانًّا أنه متطهر، فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه كان قد صلى محدثًا، فإن عليه الإعادة .

٥٧- أن جَمِيعَ الخلائقِ مكلفون ومخلوقون للعبادة (كما حملته على الذين من قبلنا) ، فلا يملك بشر الخروج عن قضاء اللّه وحكمه وشرعه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات :٥٦ .

٥٨- كرر لفظ الرب في هذه الأدعية أربع مرات طلبًا للرحمة والاستعطاف والتلويح إلى صفة العبودية فإن ذكر الربوبية يخطر بالبال صفة العبودية والمذلة .

٥٩- فضلُ رسول اللّه والمؤمنين بتلكم الشهادة الإلهية

، التي لا تعدلها الدنيا ثمناً ، ولا يضاهيها ثروة ولا مجد ، بل المجد كل المجد في هذه المنزلة ، فلتكن غايتنا تحصيل تلك المرابح النفيسة، والمنازل المنيفة .

٦٠- من بلغ تلك المنزلة ، وحقق مقتضياتها كان في مصافّ رسول اللّه والمؤمنين الأوائل ، وذلك شرف عظيم، ما ينبغي التراخي عنه، واذا خالطتك الريب، فتذكر فضلاء عبروا الطريق، وسلكوا المنهاج ، وصبروا ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران ١٤٦ .

٦١- أن من بلغته شرعةٌ ثابتة ، أو سنة ماضية عن رسولنا المختار، وجب عليه اتباعها، تطبيقا لمقتضى (سمعنا واطعنا). وقد قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول

اللّه أسوةٌ حسنة﴾ سورة الأحزاب .

٦٢- ان الاسلام تكاليف حسب الطاقة، قد خلت من الحرج ، وجانبها المشقة ، وتناءى عنها التضيق كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ سورة البقرة .

وقال سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ سورة الحج .

وصح حديثُ :(إنما بُعثت بالحنيفيةِ السمحة)[١].

٦٣- أن من فقه المؤمنين أنهم لا يبتدئون دعاءهم بطلب النصر، وإنما يبتدئون دعاءهم بطلب العفو عن ذنوبهم، أدباً مع اللّه واستيقاناً بأن الذنوب من أخطر العوائق التي تحول بينهم وبين النصر ، وتحرمهم العِز والتمكين .

(١) المسند (٢١٠٧) .

٦٤- استدامةُ الصراع بين المؤمنين والكافرين ، وأن حكمةَ اللّه اقتضت وجودَ تنافر في الحياة ، ونزاع في المسالك ، لتُمحص الصفوف، وتُبلى النفوس (فانصرنا على القوم الكافرين).

٦٥- احتوت الآياتُ ثمانيةَ أدعيةٍ عظيمة هي:

١- سؤال المغفرة .

٢- العفو في النسيان والخطأ .

٣- سؤالهم تجاوز الآصار السابقة .

٤- سؤالُهم عدم تحميلهم فوق طاقتهم .

٥- سؤالُهم العفو.

٦- سؤالُهم المغفرة .

٧- سؤالُهم الرحمة .

٨- سؤالهم النصرَ على الكافرين .

مما يدل على عظمةِ الدعاء في حَيَاةِ المؤمن، وأنه لا انفكاكَ بين حُسنِ المعتقد ، وشدة اللجء إلى اللّه تعالى، ولذلك كثُرت نصوصُه وعظمت أوقاتُه ، وطابَت ألفاظه.

٦٦- المنزلُ من اللّه يشمل الكتاب والسنة، فوجب الاحتجاج بما صح من الأحاديث وتناقله الأئمة خلافًا لمن يَقصُر ذلكَ على النصوص القرآنية ، قال تعالى :(فاتبعوني يحببكم اللّه) سورة آل عمران. وقوله:(من يطعِ الرسول فقد أطاع اللّه) سورة النساء . وصح قوله:(من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني دخل النار) .[١]

واشتهر قولُ الإمامِ أحمد رحمه اللّه:(من ردّ حديثَ رسول اللّه فهو على شفا هلَكة). قال أبو قلابة رحمه اللّه

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠).

: (إذا حدثتَ الرجلَ بالسُّنة، فقال: دعنا من هذا وهات كتاب اللّه، فاعلم أنه ضال) .

قال الذهبي معلقا: (وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات العقل؛ فاعلم أنه أبو جهل)[1]..

٦٧- ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه كلام نفيس في تفسير الآيتين وإبراز فوائدها ، سنجزئها في فواصل معنونةً :»

شرفُ رسول اللّه واكتمال ثوابه : ثم قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة:٢٨٥)، فهذه شهادة اللّه تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام . بإيمانه بما أنزل

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٢ .

إليه من ربه، وذلك يتضمن إعطاءه ثواب أكمل أهل الإيمان زيادة على ثواب الرسالة والنبوة لأنه شارك المؤمنين فى الإيمان، ونال منه أعلى مراتبه، وامتاز عنهم بالرسالة والنبوة، وقوله: «أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ» يتضمن أنه كلامه الذي تكلم به، ومنه نزل لا من غيره، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ (النحل:١٠٢)، وقال: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الواقعة:٨٠)، والحاقة:٤٣)».

٦٨- الشهادةُ لأهل الإيمان وعلوهم: وقال : ثم شهد تعالى للمؤمنين بأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم، ثم شهد لهم جميعا بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد الإيمان الخمسة التي لا يكون أحد مؤمناً إلا بها، وهى: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وقد ذكر تعالى هذه الأصول الخمسة فى أول السورة ووسطها و آخرها، فقال فى أولها: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤)، فالإيمان بما أنـزل إليه ومـا أنـزل من قبله يتضمن الإيمـان بالكتب والرسل والملائكة، ثم قـال: ﴿وَبِـالآخِـرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، والإيمـان بالله يدخل فى الإيمان بالغيب وفى الإيمان بالكتب والرسل، فتضمنت الإيمان بالقواعد الخمس.

٦٩- وقال فى وسطها: ﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة:١٧٧)، ثم حكى عن أهل الإيمان أنهم قالوا: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة:٢٨٥)، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، فلا ينفعنا إيماننا بمن آمنا به منهم كما لم ينفع أهل الكتاب ذلك، بل

نؤمن بجميعهم ونصدقهم ولا نفرق بينهم، وقد جمعتهم رسالة ربهم فنفرق بين من جمع اللّٰه بينهم،ونعادى رسله، ونكون معادين له، فباينوا بهذا الإيمان جميع طوائف الكفار المكذبين لجنس الرسل،والمصدقين لبعضهم المكذبين لبعضهم.

٧٠- مقتضياتُ الإيمان باللّٰه: وقال : وتضمن إيمانُهم باللّٰه إيمانَهم بربوبيته، وصفات كماله، ونعوت جلاله، وأسمائه الحسنى، وعموم قدرته ومشيئته، وكمال علمه وحكمته، فباينوا بذلك جميع طوائف أهل البدع والمنكرين لذلك أو لشيء منه؛ فإن كمال الإيمان باللّٰه يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه، وتنزيهه عما نزه نفسه عنه، فباينوا بهذين الأمرين جميع طوائف الكفر، وفِرَق أهل الضلال الملحدين فى أسماء اللّٰه وصفاته.

ثم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فهذا إقرار منهم بركنى الإيمان الذي لا يقوم إلا بهما، وهما السمع المتضمن للقبول، لا مجرد سمع الإدراك المشترك بين المؤمنين والكفار، بل سمع الفهم والقبول، والثاني: الطاعة المتضمنة لكمال الانقياد وامتثال الأمر، وهذا عكس قول الأمة الغضبية: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة:٩٣).

٧١- فائدة سمعنا وأطعنا: فتضمنت هذه الكلماتُ كمال إيمانهم، وكمال قبولهم، وكمال انقيادهم، ثم قالوا ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥) لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد الذي يقتضيه منهم، وأنهم لابد أن تميل بهم غلبات الطباع ودواعى البشرية إلى بعض التقصير فى واجبات الإيمان، وأنه لا يلم شَعَثَ ذلك إلا مغفرة الله تعالى لهم، سألوه

غفرانه الذي هو غاية سعادتهم، ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من اللّه تعالى فقالوا : ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ ثم اعترفوا أن مصيرهم ومردهم إلى مولاهم الحق لابد لهم من الرجوع إليه فقالوا : ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

فتضمنت هذه الكلمات إيمانهم به، ودخولهم تحت طاعته وعبوديته، واعترافهم بربوبيته، واضطرارهم إلى مغفرته، واعترافهم بالتقصير فى حقه، وإقرارهم برجوعهم إليه.

٧٢- نفي الخطرات عنهم: ثم قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، فنفى بذلك ما توهموه من أنه يعذبهم بالخطرات التي لا يملكون دفعها، وأنها داخلة تحت تكليفه، فأخبرهم أنه لا يكلفهم إلا وسعهم، فهذا هو البيان الذي قال فيه ابن عباس وغيره: فنسخها

اللّه عنهم بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّه نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمراً ونهيا فهم مطيقون له قادرون عليه، وأنه لم يكلفهم ما لا يطيقون، وفى ذلك رد صريح على من زعم خلاف ذلك.

٧٣- ثمرة فوله وسعها: وقال رحمه اللّه : وتأمل قوله عز وجل: ﴿إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ كيف تجد تحته أنهم فى سعةٍ ومنحة من تكاليفه، لا في ضيق وحرج ومشقة؛ فإن الوسع يقتضي ذلك، فاقتضت الآية أنّ ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج، بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدوراً له ولكن فيه ضيق وحرج عليه،....

٧٤- وقال : قال سفيان بن عيينة في قوله: ﴿إِلاَّ

وُسْعَهَا﴾: إلا يسرها لا عسرها، ولم يكلفها طاقتها، ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود.

فهذا فَهْم أئمة الإسلام، وأين هذا من قول من قال: إنه كلفهم ما لا يطيقونه البتة، ولا قدرة لهم عليه؟ ثم أخبر تعالى أن ثمرة هذا التكليف وغايته عائدة عليهم، وأنه تعالى يتعالى عن انتفاعه بكسبهم وتضرره باكتسابهم، بل لهم كسبهم ونفعه، وعليهم اكتسابهم وضرره، فلم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه إليهم، بل رحمة وإحساناً وتكرماً، ولم ينههم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم، بل حمية وحفظاً وصيانة وعافية.

٧٥- ثمرةُ كسب النفس: وقال رحمه الله: وفيه أيضاً أن نفساً لا تعذب باكتساب غيرها، ولا تثاب بكسبه، ففيه معنى قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

(النجم: ٣٩)، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤، الإسراء:١٥، فاطر:١٨) .

وفيه أيضاً إثبات كسب النفس المنافي للجبر.

٧٦- جمالُ التعبير بكسب واكتسبَ : وقال : وفيه أيضاً اجتماع الحكمة فيه، فإما كسب خيراً أو اكتسب شراً، لم يبطل اكتسابه كسبه، كما يقوله أهل الإحباط والتخليد، فإنهم يقولون: إن عليه ما اكتسب وليس له ما كسب، فالآية رد على جميع هذه الطوائف، فتأمل كيف أتى فيما لها بالكسب الحاصل ولو لأدنى ملابسة، وفيما عليها بالاكتساب الدال على الاهتمام والحرص والعمل؛ فإن (اكتسب) أبلغ من (كسب)، ففي ذلك تنبيه على غلبة الفضل للعدل، والرحمة للغضب.

٧٧- سببُ العفو عن النسيان : وقال: ثم لما كان ما كلفهم

به عهوداً منه ووصايا، وأوامر تجب مراعاتها والمحافظة عليها، وألا يخل بشيء منها؛ ولكن غلبات الطباع البشرية تأبى إلا النسيان والخطأ والضعف والتقصير أرشدهم اللّه تعالى إلى أن يسألوه مسامحته إياهم فى ذلك كله، ورفع موجبه عنهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، أي: لا تكلفنا من الآصار التي يثقل حملها ما كلفته من قبلنا؛ فإنا أضعف أجساداً وأقل احتمالا.

٧٨- سببُ سؤال التخفيف: وقال: ثم لما علموا أنهم غير منفكين مما يقضيه ويقدره عليهم، كما أنهم غير منفكين عما يأمرهم به وينهاهم عنه، سألوه التخفيف فى قضائه وقدره، كما سألوه التخفيف فى أمره ونهيه، فقالوا: ﴿رَبَّنَا

وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فهذا فى القضاء والقدر والمصائب، وقولهم: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ في الأمر والنهى والتكليف، فسألوه التخفيف فى النوعين.

٧٩- فضلُ النعم الأربع : قال: ثم سألوه العفو والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء؛ فإن بهذه الأربعة تتم لهم النعمة المطلقة، ولا يصفو عيش فى الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدار السعادة والفلاح، فالعفو متضمنٌ لإسقاط حقه قبلهم ومسامحتهم به، والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم وإقباله عليهم ورضاه عنهم، بخلاف العفو المجرد؛ فإن العافي قد يعفو ولا يقبل على من عفا عنه ولا يرضى عنه، فالعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل وجود، والرحمة متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان

والعطف والبر، فالثلاثة تتضمن النجاة من الشر والفوز بالخير،والنصرة تتضمن التمكين من إعـلان عبادته وإظهار دينه، ...

٨٠- سببُ اجابة دعائهم : قال: « فلما تحققت قلوبهم بهذه المعارف وانقادت وذَلَّتْ لعزة ربها ومولاها وأجابتها جوارحهم، أعطوا كل ما سألوه من ذلك، فلم يسألوا شيئاً منه إلا قال اللّه تعالى: (قد فعلتُ)، كما ثبت فى الصحيح عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ذلك.

فهذه كلماتٌ قصيرة مختصرة فى معرفة مقدار هذه الآيات العظيمة الشأن،الجليلة المقدار، التي خص اللّه بها رسوله محمداً صلى اللّه عليه وسلم وأمته من كنز تحت العرش.

وبعد، ففيها من المعارف وحقائق العلوم ما تعجز عقول

البشرعن الإحاطة به، واللّٰه المرغوب إليه ألاّ يحرمنا الفهمَ فى كتابه، إنه رحيم ودود.

والحمدُ للّٰه وحده، وصلى اللّٰه وسلم على من لا نبيَ بعده وآله وصحبه أجمعين».

٨١- قال في البحر المحيط: وظهر بسبب النزول مناسبةُ هذه الآية لما قبلها، ولما كان مفتتحُ هذه السورة بذكر الكتاب المنزل، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب، وبما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله، كان مختتمها أيضًا موافقًا لمفتتحها.

وقد تتبعت أوائل السور المطولة، فوجدتها يناسبها أواخرُها، بحيث لا يكاد ينخرمُ منها شيء، وذلك من أبدع الفصاحة؛ حيث يتلاقى آخرُ الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم

آخذًا في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلًا، ثم يعود إلى ما كان آخذًا فيه أولًا.

٨٢- ويستفاد منها: لا يلزم من رفع المؤاخذة سقوط الطلب، فمن ترك الواجب نسيانًا أو جهلًا، وجب عليه قضاؤه، ولم يسقط الطلب به، ولهذا قال النبي - صلوات اللّه وسلامه عليه - في الحديث الذي رواه أَنَس رضي اللّه عنه: (مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا)؛ مسند أبي يعلي وإسناده صحيح، ولما صلى الرجل الذي لا يطمئن في صلاته قال له صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ)، ولم يعذره بالجهل مع أنه لا يحسن غير هذا،...!

٨٣- وولايةُ اللّه نوعان: خاصة، وعامة؛ فالولاية الخاصة ولاية اللّه للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ اللّهُ وَلِيُّ

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦)، والولاية العامة ولايته لكل أحد؛ فاللّه سبحانه وتعالى ولي لكل أحد بمعنى أنه يتولى جميع أمور الخلق؛ مثاله قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٣٠).

٨٤- حديثُ مسلم المتقدم يجزم بنسخها لآية (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّه). فعن ابن عبّاسٍ فيها ثلاثة أقوالٍ:

[illegible] منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿لا يكلّف اللّه نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة:

٢٨٦) لحديث مسلم الصحيح .

والثّاني: أنّها غير منسوخةٍ وأنّها عامّةٌ يحاسب المؤمن والكافر والمنافق بما أبدى وأخفى ، فيغفر للمؤمنين ويعاقب الكافرون والمنافقون.

والثّالث: «أنّها مخصوصةٌ وأنّها في كتمان الشّهادة وإظهارها»[1].

٨٥- وذهب شيخ الإسلام وبعض الفقهاء : أنها ليست منسوخة،

وقالوا : إن ما في الآية خبر، والأخبار لا تنسخ.

وقالوا -أيضاً- إن مما في النفس مما قد يحاسب عليه الإنسان كالرياء وظن السوء باللّٰه تعالى، وبغض ما جاء به الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(١) انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس: ١١٨/٢ .

وقالوا: من سمى ذلك نسخاً من السلف فإنما جرى على تسميةٍ سبقت ضبط المصطلحات الأصولية فأطلق النسخ على معنى البيان وذلك كثير في عبارات المتقدمين

وقد وجه ابن تيمية وغيره بعض الأحاديث والآثار التي ذكر فيها أن الآية منسوخة بأن لفظ النسخ مجمل، فالسلف كانوا يطلقونه فيما يظن دلالة الآية عليه من عموم إطلاقه أو غير ذلك، وكذلك نسخ ما قد يقع من النفوس من فهم معنى محتمل، وإن كانت الآية لم تنزل عليه -كهذه الآية-.

٨٦- قال بعضهم: سبب نزولها أنه لما نزل: (وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ) أشفقوا منها، ثم تقرر الأمر على أن (قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا) فرجعوا إلى التضرع والاستكانة، فمدحهم الله وأثنى عليهم، وقدّم

ذلك بين يدي رفقه بهم، وكشفه لذلك الكرب الذي أوجبه تأولهم، فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى اللّٰه تعالى، كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من: ذمهم وتحميلهم المشقات من الذلة والمسكنة والجلاء، إذ ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ وهذه ثمرة العصيان والتمرد على اللّٰه، أعاذنا اللّٰه تعالى من نقمه.

٨٧- أن الجماعةَ والناس تبعٌ لقيادتهم وسيدهم (آمَنَ الرَّسُول) فالألف واللام للعهد، وهو علم بالغلبة على محمد صلى اللّٰه عليه وسلم في وقت النزول، ومن أرادَ من جماعته الانصياع وعدم التمرد فليكن قدوةً لهم ممتثلا قبل مخاطبتهم.

٨٩- عظم وقع القرآن على صحابة رسول اللّٰه،

وتأثرهم بآية وعدية ، حتى نسختها ما بعدها، وسلتهم وخففت عنهم..(أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ». فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ .

٩٠- في قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ طمانة ورحمة عظيمة تأخذ بأيدينا إلى التبصُّر بسرّ التشريع الربّاني، فالأصل في الأوامر الشرعية أنها غذاء لـلأرواح، ودواء للأبدان، فاللّه تعالى أمر العباد رحمة وإحسانًا لهم، وهذه الآية تعالج النفوس المؤمنة حتى لا

يخدعها شيطانها بعجزها، وتطمئن إلى رحمة اللّه وعدله وتتلقّى خلافة اللّه لها في الأرض، وتؤمن بأنّ خالقها أعلم بحالها ولا يكلفها بما يزيد عن طاقتها،..!

٩١- ابتدأت الآياتُ بترسيخ الإيمان والتنبيه عليه، وانتهت بطلب المغفرة والمسامحة، والاستنصار على القوم الكافرين ، وفي ذلك إشارة إلى افتقار المؤمن وضرورة تعلقه بربه، فلا اغترارَ ولا اعتداد (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) سورة الإسراء :٧٤ .

٩٢- (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) هنا تعليمٌ من اللّه لعباده كيفية الدعاء وهذا من غاية الكرم حيث يعلمهم الطلب ، ليعطيهم المطلوب.

٩٣- ثبت في الصحيح عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: أن اللّه تعالى قال عقب كل دعوة من هذه

الدعوات « قد فعلت » فكان ذلك دليلاً على أنه سبحانه لم يؤاخذهم بشيء من الخطأ والنسيان، ولا حمل عليهم شيئاً من الإصر الذي حمله على من قبلهم، ولا حمَّلهم ما لا طاقة لهم به، وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين، والحمد للّٰه رب العالمين.[١]

٩٤- دلت السنة الصحيحة على تجاوز اللّٰه للخطأ والنسيان عن عباده كما في حديث ابن عباس :(إنَّ اللّٰهَ تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ ، و النسيانَ ، و ما اسْتُكرِهوا عليه).[٢]

وإنَّما عُفيَ عن المُخطِئ والنَّاسي بمعنى رَفِع الإثِم عنهما؛ لأنَّ الإثمَ مُرتَّبٌ على المَقاصدِ والنِّيَّاتِ، والنَّاسي

(١) انظر فتح البيان١٦٦ / ٢.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) واللفظ له، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٨٢٧٣)، والبيهقي (١١٧٨٧) . وصححه جماعة بمجموع طرقه.

والمُخطئُ لا قَصدَ لهما؛ فلا إثمَ عليهما.

٩٥- ومن الآصار ذنوبٌ مَخوفة، وخطايا فاتكة، فسألوا الله السلامة منها، وقِيلَ: الإصْرُ الذَّنْبُ الَّذِي لا تَوْبَةَ لَهُ فالمَعْنى اِعْصِمْنا مِنَ اِقْتِرافِهِ، وجنبنا سبله ووسائله.

٩٦- ومن فوائد ابن عثيمين رحمه الله حول (لا يكلف الله نفسًا...) ومن فوائد الآية: إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم؛ وهي: لا واجب مع العجز؛ ولا محرم مع الضرورة؛ لكن إن كان الواجب المعجوز عنه له بدل وجب الانتقال إلى بدله؛ فإن لم يكن له بدل سقط؛ وإن عجز عن بدله سقط؛ مثال ذلك: إذا عجز عن الطهارة بالماء سقط عنه وجوب التطهر بالماء؛ لكن ينتقل إلى التيمم؛ فإن عجز سقط التيمم أيضاً – مثال ذلك: شخص محبوس مكبل لا يستطيع أن يتوضأ، ولا أن يتيمم: فإنه يصلي بلا وضوء،

ولا تيمم؛ ... ومثال سقوط التحريم مع الضرورة: رجل اضطر إلى أكل الميتة بحيث لا يجد ما يسد رمقه سوى هذه الميتة: فإنه يحل له أكلها؛ بما يسد رمقه...

٩٧- ومن فوائد الآية: أن الإنسان لا يحمل وزر غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وعليها ما اكتسبت﴾.

إذا قال قائل: ما تقولون في قول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنةً سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»؟

فالجوابُ: أن هذا لا يرد؛ لأن الذي فعلها أولاً اقتدى الناس به؛ فكان اقتداؤهم به من آثار فعله؛ ولما كان هو المتسبِّب، وهو الدال على هذا الفعل كان مكتسباً له.

٩٨- ومن فوائد الآية: أن للإنسان طاقة محدودة؛

لقوله تعالى: ﴿إلا وسعها﴾؛ فالإنسان له طاقة محدودة في كل شيء: في العلم، والفهم، والحفظ، فيكلف بحسب طاقته.

ومنها: أن للإنسان ما كسب دون أن ينقص منه شيء، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمًا وَلَا هَضۡمًا﴾ (طه: ١١٢).

٩٩- ومنها: أن الأعمالَ الصالحة كسب؛ وأن الأعمال السيئة غُرۡم؛ وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لها﴾، ومن قوله تعالى: ﴿عليها﴾؛ فإن «على» ظاهرة في أنها غُرم؛ واللام ظاهرة في أنها كسب.

ومنها: رحمة الله سبحانه وتعالى بالخلق، حيث علمهم

دعاءً يدعونه به، واستجاب لهم إياه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾.

١٠٠- فإذا قال قائل: ما الحكمةُ من أن اللّٰه سبحانه وتعالى يجعل البشر ينسى، ويخطئ؟

فالجوابُ: ليتبينَ للإنسان ضعفُه، وقصوره: ضعفه في الإدراك، وضعفه في الإبقاء، وفي كل حال؛ وليتبين بذلك فضل اللّٰه عليه بالعلم، والذاكرة، وما أشبه ذلك؛ وليعرف الإنسان افتقاره إلى اللّٰه عز وجل في دعائه في رفع النسيان، والجهل عنه؛ فيلجأ إلى اللّٰه عز وجل، فيقول: «رب علمني ما جهلت، وذكرني ما نسيت»، وما أشبه ذلك.

تم ما أُريدَ تقييده من فوائد في كتاب (أسارير الخواتيم

الكافية) وقد تجلت عظمتها، وبرزت كنوزها، بلّغنا اللّه فهمها ، وأعاننا على حسن التدبر ، ونفعنا بهدي كتابه ومواعظه، إنه جوادٌ كريم .

وكان الفراغ منه في الثاني والعشرين من شهرشوال لعام ١٤٤٣هـ، والحمد للّه رب العالمين .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية

- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.
- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).
- وكلها من (دار تكوين).
- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .
- نسماتٌ من أم القرى .
- مواتُ المروءة (شعر).
- وطن ومنن (شعر).
- الطِّلاب الأعظم (شعر)
- فهزموهم بإذن اللّه (شعر).
- توهجات النيل(شعر).
- كورونا وليمونا (شعر).

- مدائن الألباني.(شعر).
- عاصفة الحزم (شعر).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسن التزيين بمعاني المئين

- حسنُ التداني من لبّ المثاني .
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.
- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.
- اغتنامُ الدرر من سورة العصر .
- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.
- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

